المبحث السابع والعشرون:

الدين والإبداع.

البند الأول. الأدلة العقائدية الروحية.

لقد حبى الله الشرق بذخيرة خيرة ، لم يتم توظيفها في وحدته وسعادته وتطوره ، بل جعله أهم مصدر من مصادر الإبداع، خاصة فيما يتعلق بثوابته القومية، فبدلاً من البحث في العقائد السماوية، وتفسيرها لخير الإنسان ووحدته وسلامه، فقد تم تفسيرها تفسيراً ظلامياً، لا علاقة له بالله ولا بدياناته المرسلة، والأمثلة عديدة وغزيرة في هذا الشأن نسوق بعضها كأمثلة دالة، لأنها تشكل حاضناً إبداعياً وحافزا لمن يريد أن يعطي مثل:

قول النبي العربي (ص) بأن الأمة ستنقسم بعدهاإلى (73) فرقة .

حيث يستند البعض إلى هذا القول الكريم، ليقول كلام حق أُريد فيه باطل، بغية تفتيت العرب والمسلمين والإسلام ، وطرحه على غير مقصده، فإذا أردنا أن نحكم العقل ونحلل الحديث الشريف، نقول: هل يعقل أن النبي (ص) الذي جاء ليوحد الإنسانية في الإيمان بالرب الواحد، أن يدعو ليبددها؟

إن التحليل العقلي السليم يؤكد بأن النبي العربي يحذر من الانقسام، ويشدد على وحدة الأمة لتبقى واحدة ليكون مصيرها الجنة، لأن من يوحد لا يبدد، وفي الخلاف حول موضوع معين يجب تحكيم العقل في تفسير النص، فكيف لأمة كانت تقاتل بعضها بعضاً، فحال نبي الله دون ذلك، وكانت توئد بناتها فحرم ذلك، أوليس ربنا القائل في كتابه الكريم "كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"، إن إعمال العقل في مثل هذه المسائل الحياتية هو إبداع إيماني ضروري في تكييف معوقات الحياة السياسية والإجرائية والفكرية والإنسانية والعبادية.

obeikandl.com

1 -إن النبي الكريم ألمح إلى اليهودية والمسيحية وانقسامهما، إن ذلك كناية عن دعوة لتجنب الانقسام لأنه شر، يجب تجنبه وهذا تفسير عقلي وعقائدي بل وعلمي بين.

2 -إن النبي العربي (ص) تحدث عن العروبة والإسلام غير مرة، فأجاب بوضوح: ((أحب العرب لثلاث: لأني عربي – ولأن القرآن عربي – وكلام أهل الجنة عربي)). وقال(ص)(الأئمة من قريش، وسئل النبي لماذا يا نبي الله، فأجاب((لأنها عربية قُحة)) ورغم هذا الوضوح البيّن نجد العديد من المتقدمين والمتأخرين في الفهم، يحاولون تغييب مثل هذه الأحاديث وتفسيرها وفق أهواء اثنية وغائية لا تمت لقوله عليه الصلاة السلام بصلة، وإن طُرحت هذه الأحاديث، تفسر بعكس مقصدها وذلك حسب أهواء المفسرين، بالرغم من أن القرآن الكريم والنبي (ص) قال بها، وهذا يشكل حافزاً نادراً له خصائصه التي ننهل منه كينبوع غني وواضح.

3 -وحين يقول نبي الإنسانية (ص) بالعروبة فهو يقصد العروبة في جذورها وفروعها وشعبها ومصادرها وانتمائها، وعقائدها من مسيحية وإسلامية.

إن من يحاول طمس هذه المعاني العقائدية {{ كرسالة عربية خالدة}} ولم يقتنع بهذا كله لابد وأن غالبا آخر - غير صحيح - يغلبه على إيمانه وعلى قول النبي العظيم، فما عليه إلا أن يعيد النظر في فهمه لأحاديث النبي العربي، بدقة وعقلانية.

البند الثاني: مسؤولية تفسير الأدلة.

لقد جئنا بهذه الأمثلة لندلل، بأن مبدعينا بدلا من البحث عن الإبداع في معطى تاريخي أوديني أو فكري، يعزز لديهم سيرة أمة وعقيدة تعاصر التطور في كل زمان ومكان، ابتعد البعض منهم غير عابئ أو مهتم، و حاول البعض الآخر النأي بتفسيره عن التفسير الصحيح، بينما ذهب الآخرون مذاهب بعيدة عن جادة الصواب في تفسيرهم وتحريفهم، وهم غير مكترثين بمسيرة تاريخ شعبهم التي قد تثري الحاضر (وهي الحقيقة).

والأمثلة عديد في هذا المجال، لأن مبدعي الأمم حين يستلهمون من التاريخ، يستحضرون مضيئات هذا التاريخ و قد تكون ملهمة، وهم بذلك يبدعون، وحينما يحللون الظواهر المستلهمة فهم قد يبتكرون ويجددون وقد يصححون التاريخ نفسه من خلال التحليل العلمي الصحيح للحادثات، التي قد يكون البعض قد ساقها خطأ عن سبق إصرار، و هذا هو الإبداع بحد ذاته.

البند الثالث. العمل الوحدوي والإبداع.

العمل الوحدوي كالبناء الذي نعرف يجب أن يبنى على قواعد قوية وركائز راسخة، ويجب أن يأتي تلبية لحاجات حياتية وإرادة شعبية تعبر عن المساحات الأوسع لمن سينعم في هذا البناء من حرية وتلبية لمتطلباته الحياتية والسيادية، وما يمكن أن يؤمنه له من قوة وأمان وطمأنينة دائمة، لأن البنى الفوقية التي شهدتها الساحة القومية كانت بنى فوقية لا قواعد ولا ركائز لها، لهذا فإنها لم تستطع أن تعمر وتستمر، وإن أردنا أن نشير إلى القواعد التي تضمن العمل الوحدوي نبين بعضها من خلال الآتي :

❖ أن تأتي الوحدة بإرادة شعبية هذه الإرادة التي توفر لها القوى البشرية المؤمنة بها والمستعدة لحمايتها والتضحية في سبيلها.

❖أن يقود العمل الوحدوي مؤسساته الديموقراطية، الرسمية الوحدوية القادرة على البناء الاقتصادي، الذي يلبي الحاجات الدائمة القريبة والبعيدة للناس .

❖أن يتحقق البناء السياسي الوحدوي، الذي يتمثل في الدولة وهيكليتها والتنظيمات السياسية العاملة فيها، من القاعدة حتى القمة من قبل أصحاب المصلحة بهذا البناء، ولكي يكون هؤلاء مؤهلين لتلك المهمة الخطيرة ، لابد وأن يمتلكوا الوعي الثقافي والمعرفي، والفهم الإستراتيجي لدور البناء الوحدوي في حياة الفرد والمجتمع.

obeikandi.com

❖إن الماضي المضيء حافز في الحاضر الآمل، وإن تجارب الأمس الفاشلة هي عظة في الحاضر، الذي يمر من نفس المسارات، لذلك فإن استلهام الماضي وحضوره، بمضيئاته وبعثه في الحاضر لأهميته يشكل حافز حضاري ي و ضرورة تستلزمها البيئة الإبداعية.

❖ إن الاهتمام بالتقاليد المواكبة للعصر مسألة إبداعية، لأنها تستلزم الفرد القادر على فهم الماضي ومراحله، والقادر على التلقيح الحضاري بين الأمس والحاضر والمستقبل، لذلك فإن إيلاء المعاصرة الواعية لأهمية مضيئات السلف، لها قيمة في الخلق والابتكار المنشود، وبخاصة تلك المضيئات التي تحمل قيما، وتحوز على تقدير واحترام وإيمان المجتمع، كالمعتقدات والقيم الوضعية.

البند الرابع. تكامل المقومات.

كما نعلم فأن من مقومات الأمة العربية (اللغة -والتاريخ - والأهداف المشتركة - والآمال - ووحدة المصير - .....الخ)، وهذه مقومات حقيقية قد لا نجد أمة تملكها من الأمم، وهي تملك مقدرات أيضاً لا تملكها أمة أخرى من الأمم، وهي منذ قرون لم تستطع توحيد أقطارها.

إنّ هذه الحال يكمن وراءها أسباب معيقة حقيقية، إما تعود إلى قصور ذاتي لرواد هذه الوحدة، أم يتعلق الأمر بقوى ترى بولادة هذا الحدث أو إعادة بعثه من جديد خطورة عليها وعلى مصالحها، وهذه الأخيرة يمكن أن تكون قوى خارجية وداخلية، أما القوى الخارجية، فهي معروفة تتمثل في نفس القوى، التي جزأت الأمة العربية، وفي هذه الحال لابد لنا من مواجهة الحقيقة، والتي تتجسد في جميع الأسباب التي أشرنا اليها منذ قليل .

obeikandl.com

البند الخامس: معوقات مسارات الأمة.

إن أردنا أن نضع اليد على جرحنا فيجب ألا نترك الجرح مكشوفا ونازفا، وعلينا مواجهة أنفسنا قبل أن نواجه غيرنا، لأن معوقاتنا ذاتية وداخلية وخارجية، وعلينا أن نحددها، حيث تكمن في القصور الذاتي لبعض روادنا - ولقوى خارجية جزأت هذه الأمة سابقا – ولقوى عميلة لهذه الأخيرة ، وهنا الطامة الكبرى، عندما تجتمع القوى الصديقة والمعادية ضد الهدف.

الأمر الذي يستدعي بالضرورة التاريخية والعلمية والمجتمعية إعمال العقل المبدع ومالكيه لوضع معادلة الحل وتصنيع خشبة الخلاص، هذه العقول التي أعتقد بأنها أيضا تضيف الى معوقات بعث الوحدة وإبداعها إلى الأسباب التالية :

أولاً - تحويل هدف الوحدة إلى حقل اختبار وتجريب وتجارب، وهذا برأيي خطأ استراتيجي، ونعني بذلك أن هذا الهدف يجب أن تدرس خطواته دراسة علمية، ومبنية على الأسس التي تحول دون، أن ينال منها وهزها وتهديدها معتدي، وكان علينا جميعا كعرب أن نتساءل أسئلة قد تكون محرجة لنا، بعض الشيء رغم حقيقتها، مثل لماذا غضوا الطرف ليسير العمل الوحدوي بنجاح عام 1958، بين سورية ومصر بهذه الليونة و السرعة؟؟ الجواب واضح ، لأنهم يعلمون بأن تدمير هذا البناء يمكن تنفيذه بسهولة بسبب:

1 -البعد الجغرافي بين البلدين الشقيقين 2 - وجود استعمار استيطاني(إسرائيل) يفصل بين الإقليمين.

من هنا نعلم بأن قوى العدوان على هذه الأمة، تملك مخططات قريبة ومتوسطة وبعيدة الأجل، حول وضد منطقتنا، وهم يقدرون ويحددون مكان وزمان التنفيذ لهذه المخططات، في ضوء الأحداث والمعطيات والاحتمالات المحلية والإقليمية والدولية، وهذا أمر طبيعي في ضوء الدراسات العلمية والاستراتيجية، التي تنجزها مراكز الدراسات الكبرى التي تختص و تعمل بخدمة قوى الرأسمالية العالمية

وعملائها، وهذا ما حصل في ألكثير من الحادثات، التي واجهت الأمة العربية، لذلك كانت خطواتهم متساوقة مع هذا المنظور لتحقيق الآتي" .

أ -ضرورة امتصاص الهبة القومية الأخوية النهضوية التي أحدثتها جدلية الحدث المتمثلة في العدوان الثلاثي على مصر الشقيقة، والتي حققت نتائجها في التصدي وإفشال العدوان والنصر، وإلّا بماذا يُفسر تدمير، وإغراق المدمرة الفرنسية "جاندارك" في المتوسط من قبل (البطل العربي السوري "المسيحي" جول الجمال) غير التوثب القومي، وهذا الفعل البطولي كان ملفتاً للغزاة، بل جنّ جنونهم ليسرعوا في الالتفاف على هذه الوثبة القومية العارمة، وقد عرفنا أساليبهم وخططهم المدروسة، وكان القرار- هو امتصاص هذا المد والتوثب الشعبي الواسع وايقافه، وهذا لا يمكن أن يتم ألا من خلال عمل حقيقي يعبر أرادة الشعب، لأن العدوان ووجه بقوة شعب ثار على واقع التجزئة، لذلك لم يكن بوسعهم إيقاف هذا المد الوحدوي، ففرضت هذه الوحدة نفسها ، لأنها تعبر عن إرادة الملايين ليس في سورية ومصر فحسب، بل إرادة الأمة من المحيط الى الخليج وهذا ما أخاف الغرب الاستعماري.

ب -كبح جماح واستنزاف القادة الذين يبرزون في العمل القومي ويمتلكون السمات القيادية الإبداعية، التي تؤهلهم خلق وإنجاز عمل وحدوي، والأمثلة البارزة في الذهن الآن، تتمثل في (جمال عبد الناصر – وحافظ الأسد – وياسر عرفات) رغم التباين في الأثر والتأثير لكل منهما، حيث عملت القوى المعادية على استنزافهم حتى الرمق الأخير، من خلال سياسة الإغراق وخلق بؤر التوتر، في قضايا أساسية وثانوية، بحيث تبقي هؤلاء القادة منشغلين في مسائل جزئية إقليمية، ومسائل ترميم وتضميد الجراح، ومعالجة القضايا ألتي يتم إثارتها و تصعيدها، و قد خطط لهذا بعناية فائقة ، وبتواطىء عربي مع الغرب.

إنّ مجازر أيلول للفلسطينيين في الأردن عام 1970والتي تصدى لها "عبد الناصر" وقبلها عدوان 56 وحرب 67 وكذلك الأمر نفسه بالنسبة للمخططات التي لم

تنقطع ضد الرئيس حافظ الاسد، والتي كان أخرها الحرب اللبنانية عام 1975والتي كانوا يريدونها مقدمة سريعة للانقضاض على سورية المقاومة وإنهائها كدولة معيقة لمخططات الغرب وعملائه في المنطقة،ولكن سورية اليوم كان لها تصرفها الإستباقي الذي حماها وحال دون إسقاطها.

وهناك قادة أخرون كان يمكن أن يلعبوا دوراً إيجابياً لولا القوى العميلة العربية الداخلية والخارجية والتي لعبت دوراً حاسماً في توجيه طاقاتهم باتجاه أخر مثل (السادات – وصدام حسين)، هذه الأمثلة التي سبقها و واكبها سرقة الغرب للأدمغة المبدعة العربية وإغرائها وتهجيرها من بلادها، إلى بلاد الغرب لتصب عطاءاتها في غير أرضها ولخير غير شعبها.

وجهة نظر: مدى الإبداع.

إن الإبداع لا يقتصر على إدارة منشاة إنتاجية، أو إبداع علمي وتقني كبير أو كشف عظيم في الفيزياء و الكيمياء وغير ذلك، بل إنه يتعدى ذلك الى إحياء دور الأمم، وإلى إعادة بريقها وفعاليتها ونتاجها لصالح شعبها والإنسانية جمعاء ، وهذا ما شاهدناه في الأمة الصينية، والأمة الفارسية مؤخراً، و في أمم كثيرة أخرى، منها على سبيل المثال إعادة وحدة ألمانيا، التي جزأت ردحا من الزمن، والتي نهضت بعد وحدتها نهوضا شعبياً قيادياً، على المستوى الأوربي والعالمي، وتبوأت مكانة تختلف جذرياً، عن المكانة التي كانت تعيشها إبان التجزئة.

إن ذلك كله يعود إلى الإبداع السياسي الذي تحلى به القادة الألمان، وإلى القدرات الزاخرة والصبر الجميل، الذي تحلى به الشعب الألماني، وإلى القدرة على تذليل سلبية الجدلية الجغرافية، التي حاولوا زرعها والتي جعلت من ألمانيا الواحدة ألمانيتين، كما يعود ذلك إلى تفعيل الجدلية الشعبية وإذكائها، وإذكاء ذهنيتها بماضيها الموحد، من خلال التثقيف والتسلح بالعلم والمعرفة، التي أهلت الأجيال الألمانية لتدرك بأن قوتها في وحدتها، وبأن مركزها القيادي العالمي وخطواتها الثابتة لن تكون بساق أو قدم واحدة، أو برأس قد شطر إلى شطرين.

obeikandi.com

لذلك فإن العمل الوحدوي لا يمكن تحقيقه بلهفة عاطفية ولا بسباق منظور، في عالم يتكا لب على الضعيف، ليبقيه ضعيفا وعلى المجزأ ليبقيه مجزأ ، ولمالك الثروات الباطنية والعلوية، ليبقيه حارسا لها ولحسابه ، لأن هذا العالم يملك غولا جشعا متناميا في جشعه، ولا يشبع إنه عالم لا يعترف بالضعفاء، ولا بالفقراء ولا بالمجزأين ولا بالعبيد إنه عالم يحتاج إلى الأمم القوية الحية الحضارية، التي يمكن أن تعيده إلى صواب السلام والإنسانية، والأمن والسعادة للجميع.

من هنا أرى بأنه علينا إعادة إحياء وبناء مقومات وحدتنا وتحديد أولوياتنا، والتي تبدأ في وحدة اقتصادنا، وسد حاجات جماهيرنا، وأن نبدأ خطوة خطوة بخطوات مدروسة ثابتة، بعد إن أُهمل العامل الاقتصادي بل تم نسيانه عملياً في الهرم والعمل الوحدوي، رغم أنه يعيش مع أطفالنا وعلى موائدهم يومياً، فكيف لنا أن نقيم وحدة قوية وشعب الصومال يموت من الجوع ويتحول نهبا منثورا أمام من ينهب؟

كيف يمكننا أن نقيم وحدة وشعب مصر، يعتمد على الديون الخارجية وخاصة الأميركية، (47مليار دولار - 2، 2 ترليون جنيه) وبترولنا والذي عملياً تحميه مصر وسورية واليمن ، يذهب الى المحيط؟

كيف لنا أن نقيم وحدة، ولبنان يرزح تحت نير الديون التي تزيد عن 67مليار دولار؟ والسودان (41، 4مليار دولار)؟؟

السؤال الذي يجب أن يطرح أيضاً، لماذا مديونية مجلس التعاون الخليجي تصل إلى (172) مليار دولار؟؟هل هذه المديونية هي كذبة تضليلية اقتصادية أم هي حقيقة مزرية؟؟ ففي الحالين هي حال مزرية ولماذا تكون في بلدان بترولية ؟؟

والسؤال الذي يجب أن يكون ملفتاً لماذا تكون السعودية مدينة بمبلغ (20 مليار دولار) و لماذا تكون قطر، أكثر دول الخليج مديونية وهي التي تملك البترول والغاز، ولا تملك الشعب الذي يقاس بغيرها من البلدان العربية ؟

من هنا ندرك ونؤمن ونعي، بأن أهم مقومات العمل الوحدوي هو العامل الاقتصادي، لأن العامل الاقتصادي الضعيف، يحوِّل أي بلد في العالم الى بلد مرتهن للأقوياء،

obeikandi.com

وخاصة إن كانت تلك البلدان تعاني مديونية لبلد قوي أو أكثر ، هذا الوباء الذي نعانيه رغم ثرواتنا في وطننا العربي الهائلة، حيث (يخبرنا البنك الدولي وصندوقه) عن هذه الأرقام المخجلة والمذهلة، في المديونية على البلدان العربية وخاصة الخليجية منها، وقد نستثني من ذلك الجزائر وسورية قبل الحرب العالمية التي تشن ضدها وتواجهها .

هذه الحقائق ، التي يجب أن يواجهها العقل العربي والإبداع العربي والقوى السياسية العربية المخلصة، على مختلف مشاربها، لأن المواطن العربي لا يهمه كثيرا، أن توحدت المؤسسات السياسية الفوقية ، وهو جائع ويعلم أن بلده يرزح تحت نير مديونية ومرتهن لمن عينه على أرضه وعرضه وثرواته.

إذن إن العامل الاقتصادي هو حجر الزاوية، الذي يجب تصنيعه إن كان مفقودا رغم وجوده وبوفرة، يجب العمل على تحقيقه وبخاصة بين الدول العربية المتجاورة، نعم يجب أن يعالج هذا العامل بمسؤولية قومية تكاملية ، لكي نحول دون تأثير جدلية الجغرافية السلبية ومستغليها ومؤثراتها المجزأة، والمسهمة في وضع الحواجز بين أبناء البلدان الشقيقة، رغم أن الجدلية الجغرافية هي بحد ذاتها في وطننا العربي جدلية إيجابية، و تتحدث عن ذاتها وعن تكاملها شكلا ومضمونا أفقيا وعاموديا، براً وجواً، إنه لمعيب الرقم الاقتصادي التبادلي في العلاقات الاقتصادية البينية بين بلداننا.

obeikandi.com